

المقاومة السياسية والفكرية في غرب إفريقيا  
الشيخ حماه الله التيشيتي أنموذجا (1910-1943م)

*Political and Intellectual Resistance in West Africa*  
*Shaykh Hamah Allah al-Tichiti as a Model (1910-1943)*

1- جعفري محمد\*، مخبر المحفوظات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)

dja.mohammed@univ-adrar.edu.dz

2- د. عبو الطاهر، جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)

tahar.abbou@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2022 /02/19 تاريخ القبول: 2022 /04/13 تاريخ النشر: 2022 /06/15

**ملخص:**

تناول هذه الدراسة المقاومة السياسية والفكرية التي واجهها الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا من خلال المقاومة السلمية التي قادها حماه الله التيشيتي في موريتانيا في الفترة من 1910 إلى 1943. كان هدف هذه المقاومة الفكرية هو إفشال مساعي ومخططات السلطات الفرنسية للقضاء على هوية الشعوب المستعمرة وخاصة في بلاد شنقيط. أما الإشكالية التي حاولنا الإجابة عليها من خلال هذه الورقة البحثية هي: كيف أسهم الشيخ حماه الله في مقاومة السياسة الاستعمارية بطريقة سلمية؟ ويندرج تحتها: كيف نشأ الشيخ حماه الله؟ ما هو دور الطريقة الحمالية في مواجهة الاستعمار؟ وكيف تخلصت فرنسا من الشيخ حماه الله؟ وقد توصلت الدراسة إلى أن المقاومة السلمية لا تقل حدة عن المقاومات المسلحة حيث أزهقت المستعمر الذي أراد ضرب هوية مستعمراته ليربطها به إلى الأبد، ولكن الشيخ حماه الله بشخصيته الكاريزمية وحد شعوب المنطقة ووقف في وجه المخططات الفرنسية مما جعل الإدارة الاستعمارية تتخلص منه بطريقة تفتقد إلى الأعراف والأخلاق.

كلمات مفتاحية: حماه الله، الحمالية، التجانية، المقاومة، بلاد شنقيط، الاستعمار الفرنسي.

**Abstract:**

This article deals with the movements of resistance to the French colonial occupation in West Africa. The peaceful movement of resistance led by Shaykh Hamah Allah al-Tichiti in Bilad Changuitt, present-day Mauritania, is taken as model in this study. The different phases of this movement of resistance will be examined to understand the reasons of this resistance and its consequences on the people of Bilad Changuitt. The study also examines the reaction of French colonial administration to this movement of resistance. The study reveals that Shaykh Hamah Allah managed to unify the peoples of the region and preserved their identity.

**Keywords:** Hamah Allah, al-Hammaliya, al-Tijaniyya, Resistance, Bilad Chenguitt, French Colonialism.

## ● مقدمة:

اعتقدت السلطات الفرنسية عقب سيطرتها على الناحية الغربية من إفريقيا مع بداية القرن العشرين وجمع كل تلك المقاومات المسلحة، أن الجوقد خلا لها لتطبيق سياستها غير المعلنة، إلا أن بعض الطرق الصوفية وقفت لها بالمرصاد حيث حققت الصوفية بالسبحة والكتاب واللوح ما لم يحققه السيف والترس والرمح، وأسهمت في بعث انتشار الإسلام بعد توقف ووحدت الشعوب بعد تشرذم. ومن أبرز تلك الطرق التي وقفت في وجه المحتل الطريقة الحمالية مجسدة في شخص زعيمها حماه الله الذي جمع حوله شعوب غرب إفريقيا في فترة وجيزة من دون أن يرفع سيفاً ولا رمحاً، وأتعب الإدارة الفرنسية مما جعلها تحاول التخلص منه بأي ثمن.

ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: كيف أسهم الشيخ حماه الله مواجهة السياسة الاستعمارية بطريقة سلمية؟ ويندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من الأسئلة: كيف نشأ الشيخ حماه الله؟ وكيف انتشرت طريقته؟ ماهي أبرز الأساليب التي اتبعتها في مواجهة السياسة الاستعمارية؟ وكيف استطاعت الإدارة الاستعمارية التخلص منه؟

## 1. التعريف بالشيخ حماه الله:

### 1.1 النسب والمولد:

هو أحمد بن محمد بن عمر بن حى الله يرتبط نسبه بالحسن السبط بن علي كرم الله وجهه. وقد أورد بول مارتي سلسلة نسب جده حماه الله أحمد بن محمد الشريف.<sup>1</sup> اختلف في تاريخ ومكان ولادته على أقوال كثيرة كلها في بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر، ويرجع عليون تراوري في مذكرته حول الشيخ حماه الله (Cheikh Hamahoullah home de foi et résistant) أنه ولد سنة 1882، أما مكان ولادته أيضا فقد اختلف فيه على قولين: الأول أنه ولد في قرية كامبا ساديو (Kamba Sadio) قرية صغيرة تبعد عن باماكوب 200 كلم<sup>2</sup>، والأرجح أنه ولد في نيورو (Niuro)<sup>3</sup> وهي قرية مالية تبعد بحوالي 450 كلم عن باماكو. نشأ أحمد حماه الله يتيما، فقد مات والده وهو في الخامسة من عمره، وتكفلت والدته بتربيته في ظروف صعبة.

### 2.1 تعليمه وتربيته:

تلقى الشيخ حماه الله مبادئ الحروف وتعليمه الأول في تيشيت موطن أجداده حيث تلقى التعليم الابتدائي في الكتاب والذي كان بمثابة المحضن الأول للنشأة. وفي موطن أجداده تولى تربيته وتعليمه محمد ولد بوي أحمد الملقب أدي، الذي علمه القرآن وسائر العلوم التي كانت تدرس بالتوازي مع القرآن مثل الفقه المالكي، النحو وغيرها من سائر فنون العلم. لكن الشيخ حماه الله تخلى عن العلوم الظاهرية مبكرا ليتفرغ للعلوم الباطنية، فمنذ صغره ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء، وهذا ما لاحظته أحد شيوخه حيث قال بأن هذا الصبي لا يحتاج إلى تعليم.<sup>4</sup> ورغم ذلك كان للشيخ اهتمام بالغ بالعلم، ومما يدل على هذا مكتبته التي ضمت ما يزيد عن 1500 مجلد من مختلف فنون العلم. ورغم

---

1 مارتي بول، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب، محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001، ص214.

2 Hamadou Boly. *Le soufisme au Mali du XIXème siècle à nos jours : religion, politique et société*. Histoire. Université de Strasbourg, Français, 2013, p.133.

3 مدينة نيورو: مركز الطريقة الحمالية، تقع على الحدود المالية الموريتانية تبلغ مساحتها 351040 كلم مربع، تحدها تيشيت وولاتة من الشمال، والنعمة من الشرق، تجانث من الشمال الغربي، العسابة من الغرب. Alioune Traoré, *Cheikh Hamahoullah home de foi et résistant*, l'Harmattan, France, 2019, p 31.

4 Hamadou, op. cit, p. 134.

أنه لم يلبث إلا قليلا في المحاضرة، ولم يتلق إلا مبادئ العلوم إلا أنه كان آية في الحفظ، فقد كان متقنا للتفسير ولغة العربية الفصحى<sup>1</sup>، كما كان يولي عناية بالغة للقرآن فكان يجوده بصوت حسن، ومما يدل على غزارة علمه اعتراف بعض من زاره من علماء عصره بعلمه وفضله ومنهم إدريس بن بالامبا من السودان، ومحمد يحيى ولد أهل بوه فقيه ولاته. أما ما يدل على ثقافته وتنوع مشاركته فهو إتقانه للعديد من اللهجات فكان معظم كلامه بالفصحى إضافة إلى إتقانه لهجة الحسانية، البمبارية، السنوكية والبولارية.<sup>2</sup>

كان الشيخ حماه الله رجلا نحيفا طويل القامة، تميل بشرته إلى السواد لأن أمه من الفلان، وبهذا الاختلاط غلب على السكان تلك السحنة السوداء، وكان حليق اللحية تعطي ملامحه صورة المراهق. أما ملابسه فكان اللون الأبيض مفضلا لديه، كما يلبس الكرك في رجليه، ويتختم في يسراه بخاتم فضي في أصبعه الخنصر. وكان كثير الصمت، يفضل الاستماع على الكلام، وعن كرمه فحدث ولا حرج، فقد كان يتلقى الهبات والهدايا فيفرقها على من حوله ولا يبقى لنفسه إلا القليل.<sup>3</sup>

بزغ نجم الشيخ حماه الله بوصول الشيخ محمد الأخضر إلى بلاد شنقيط قادما من توات يبحث عن رجل ذي مييزات وعلامات من أجل تسليمه أمانة أوكلها له شيخه الطاهر بوطيبة التلمساني وظل يسافر في تلك الأرجاء يبحث عن صاحب الأمانة. وبعد عدة جولات كسر عصا الترحال أخيرا في مدينة نيورو المالية. وهناك قدمت عليه الجموع من شنقيط والمناطق المجاورة، وكان الشيخ حماه الله يحضر جلسات الشيخ محمد الأخضر بانتظام، إذ كان أنذاك حدث السن، وتكررت لقاءات الشيخ مع تلميذه. وبعد مدة من الزمن جمع الشيخ محمد الأخضر تلامذته ومريديه وأعلن لهم أن صاحب السر والأمانة الذي كان يبحث عنه هو أحمد حماه الله، وأمرهم بمبايعته، والالتزام بأوامره، وعدم الخروج عن طاعته. ومنذ ذلك اليوم أصبح الشيخ حماه هو المسير الأول للطريقة بعد استلامه المشعل أمام المريدين والاتباع.<sup>4</sup>

1 إخلينا ولد محمد الأمين، الطريقة الحموية في الساحل الإفريقي جزء من الحالة الصوفية

بموريتانيا وبمالي، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 25 فبراير 2019، ص4.

2 Allioune Traoré, op. cit, p. 62.

3 المختار ولد محمد، الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة

ماجسترو في التاريخ المعاصر، منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص131.

4 المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص77.

## 2. الطريقة الحموية وانتشارها:

### 1.2 علاقة الحموية بالتجانية:

تنسب الطريقة الحموية إلى مؤسسها أحمد حماه الله والتي جاءت كتجديد للطريقة التجانية وتحسين صورتها في عيون الأفارقة عامة والاتباع خاصة. من خلال نشر قيم التسامح، والحقيقة أن الطريقة الحمالية أو الحموية كما يسميها البعض نتاج جهود شيخ من توات وهو الشريف الأخضر<sup>1</sup>. وهنا تظهر العلاقة الكبيرة بين جانبي الصحراء والتي لم تنقطع منذ ما قبل التاريخ إلى يوم الناس هذا. عرفت الطريقة الجديدة انتشارا مع مطلع القرن العشرين بداية من نيورو ومنها إلى كابي ونيما ووالاته وبعض المناطق المجاورة التي كانت لها علاقة بمركز الحمالية مدينة نيورو، وواصلت انتشارها على طول نهر السنغال من دكار حتى سان لويس ومع خط سكة الحديد حتى النيجر، كما كسبت أتباعا ومؤيدين في غينيا وخاصة منطقتي ساتادوبو (Satadoubou) ومانو (Manou)<sup>2</sup>

والطريقة الحموية لا تختلف عن الطريقة الأم في الأوراد مثل الهيللة والاستغفار والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وباقي الأذكار بينما يتجسد الفرق في عدد مرات ذكر جوهرة الكمال، فالتجانيون في مختلف جهات العالم يذكرونها اثنا عشر مرة، بينما الحماليون يتميزون بذكرها إحدى عشر مرة فقط، ومن أجل التميز اتخذ الحماليون سبحة تتكون من إحدى عشر حبة فقط حتى أصبحت هذه السبحة علامة مميزة لهم عن غيرهم، وأصبح اسم الحماليين (التجانيون الإحدى عشرية) ومن الأمور التي خالف فيها الحماليون الطريقة التجانية مسألة قصر الصلاة، فقد قصر حماه الله كل الصلوات الرباعية من غير سفر وأمر أتباعه بدوام تقصيرها، ودليل الشيخ في هذه المسألة أن المسلمين «مستضعفين في بلدانهم وهم في حالة جهاد مستمر ولهذا يجب أن يقصروا من الصلاة، والحماليون إلى اليوم يقصرون الصلاة ولا يقيمون الجمعة رغم خروج الاستعمار وتوفر الأمن»<sup>3</sup>.

وأخطر المسائل التي تميز بها الحماليون هو تولية وجوههم في الصلاة نحو الغرب، ويبرر الحماليون هذا التوجه بأنه نحو نيورو مدينتهم المقدسة، بينما خصومهم من التجانيين يرون أن عملهم هذا هو

1 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية، مكتبة مدبولي، مصر، 1989، ص 122.

2 نفسه، ص 123.

3 أخلصنا، المرجع السابق، ص 09.

تولية نحو باريس حيث يسجن شيخهم حماه الله<sup>1</sup> والظاهر إنها كذبة حاول أعداء التجانيين إخراجهم بها من الإسلام بتغيير القبلة من مكة إلى نيورو.<sup>2</sup> ولقد بالغ الحماليون في تقديس شيخهم بل وصلوا حد الإفراط خصوصا بعد نفيه الأخير إلى مدينة باريس، فبداية من سنة 1942م، صاروا يرددون في تشبههم لا إله إلا الله أحمد حماه الله شيخنا.<sup>3</sup>

## 2.2 مراسلات التجانيين مع الشيخ حماه الله:

حاول شيوخ التجانية منذ البداية ردع الشيخ حماه الله، لمخالفته تعاليم الطريقة الأم وعدم الالتزام، فقد راسله الشيخ مالك سي<sup>4</sup> سنة 1911م، وبعث له رسالتين، ينكر فيهما عليه ما استحدثه من أمر الطريقة التجانية وينكر عليه تصرفاته، ويحذره من مغبة المخالفة، فرد الشيخ حماه الله عن الرسالة الأولى ولم يرد على الثانية<sup>5</sup>، وبعد وفاة الشيخ مالك صدع حماه الله بأمر طريقته المتميزة عن الطريقة التجانية وأمر أتباعه بمخالفة التجانيين الذين اعتبرهم تخلوا عن واجهم وانحازوا لصفوف المستعمر.

حاولت فرنسا استمالة الشيخ حماه الله عن طريق الشيخ سعيد نور طال حفيد الحاج عمر، والذي كانت قد عينته زعيما للتجانيين في غرب إفريقيا، ومما زاد من شعبية الشيخ حماه الله وكثر أنصاره، أن الشيخ ثرنو بوكو (Terno Pokar) ابن أخ الشيخ عمر وكان يلقب ب (حكيم بند ياغر) أثناء

1 محمد الطاهر ميغري، إبراهيم أنياس السنغالي، دار العربية، لبنان، 1981، ص 75.

2 Alioune, op. cit, p. 26.

3 محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 75.

4 مالك سي: هو أحد أعمدة الطريقة التجانية ولد سنة 1855 بالسنغال تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه، اعتمد نهج الإصلاح وأسس المدارس الإسلامية وساهم في التوعية وله مؤلفات عديدة جاوزت 26 مؤلفا، توفي بالسنغال 1922م. شيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 (الجزائر)، 2016-2017، ص 189.

5 عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 123.

زيارته لافتتاح مسجد في نيورو، قرر زيارة الشيخ حماه الله وانضم إلى الطريقة الحمالية<sup>1</sup>. وتحسنت العلاقة بينهما، لكن بوكسر سرعان ما تنكر للطريقة الحمالية<sup>2</sup>.

### 3. موقف الطريقة الحموية من الاستعمار:

#### 3.1 علاقة الطرق الصوفية بالاستعمار في غرب إفريقيا:

قبل دخول الاستعمار إلى غرب إفريقيا لاحظ الرحالة الأوروبيون أن الزوايا جى غير مستباحة، فمن جاع ولجأ إليها شبع، ومن خاف واحتى بها أمن. ولهذا حرص المستعمر منذ البداية على تقويض هذا الكيان أو على الأقل ضمه إلى جنب الإدارة الاستعمارية بأي طريقة، ويظهر أنها وفقت لذلك من خلال ترسانة من القوانين والمراسيم التنظيمية<sup>3</sup> ومن خلال الإغداق على زعماء الطرق.

كانت خطة فرنسا في غرب إفريقيا تعتمد على كسب أعيان الطرق الصوفية إلى صفها وذلك من خلال استقبالهم مثل باقي الشخصيات الرسمية، وكانت تولي لهم اهتماما خاصا من أجل إبعادهم عن أتباعهم وتصغير حجمهم في أعين المرئيين والشعب. إلا أن الطريقة الحموية لم تسلك مسلك الطرق الأخرى. ومما جعل السلطات الاستعمارية تتخوف من الشيخ حماه الله هو أن طريقته ضمت أكبر قبائل موريتانيا عددا: قبيلة لقلال، قبيلة إدولحاج، مجموعات الشرفاء... وخاصة قبائل الزوايا، كما أن الطريقة انتشرت في جميع الجهات وكسبت في صفوفها معظم الزعامات التقليدية، إضافة إلى سرعة انتشارها في الأقطار المجاورة، وأكثر من هذا أن الطريقة لم تقتصر على طبقة معينة فقد ضمت مختلف طبقات المجتمع مثل حملة السلاح، طلبة العلم، الحرفيين، الرعاة....<sup>4</sup>

#### 3.2 أساليب المقاومة:

1 محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 74.

2 عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 124.

3 أحمد عباد، "موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا"،

مجلة الحول المتوسطي، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، م 10، ع 01، 2019، ص 98.

4 المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص 75.

رفض الشيخ حماه الله الرضوخ للاستعمار من مبدأ عدم خضوع المؤمن للكافر، وهذه المسألة أسالت جبراً كثيراً، فكانت نازلة: هل يجوز أن يتولى الكافر أمر المسلمين؟ سببا في انقسام العلماء والفقهاء في غرب إفريقيا ما بين مهادن ورافض. ومن هذا المنطلق عارض الشيخ حماه الله الاستعمار وإدارته وسياسته، فالرجل كافح من أجل الحفاظ على هويته وحرية الثقافية التي أراد الاستعمار سلبها.<sup>1</sup> ورغم سلمية مقاومة الشيخ حماه الله إلا أنها أقلقت فرنسا حتى أصبحت تطلق على كل من يعارضها اسم (الحمالين).<sup>2</sup>

كانت مقاومة الشيخ حماه الله بسيطة وسلمية في مظهرها لكنها نافذة ومؤثرة في معانها وحقيقتها، فلقد أقلقت الإدارة الاستعمارية كثيرا مما جعلها تحسب لها ألف حساب. وتجلت مظاهر تلك المقاومة في رفض الاستعمار والتحذير منه، والتصريح بعدم شرعية وجوده في أرض المسلمين، ومقاطعة المدارس الفرنسية وعدم قبول الهدايا، بل بلغ الحد بالشيخ حماه الله أن قاطع حتى الشاي وامتنع حتى عن شربه لأن الشركات الأوروبية وخاصة الفرنسية هي التي تستورده.<sup>3</sup>

وبحسب التقارير الفرنسية ومئات المراسلات الرسمية بين ولاة أغلب المستعمرات الفرنسية بخصوص المرابطين في غرب إفريقيا بين سنتي 1909- 1943 فكلها تقريبا تصف الشيخ حماه الله ب (المحرض السوداني) أو (المرابط الخطين). ومن أبرزها تقرير حاكم باماكو تيراسون دي فوجير الذي ورد فيه، أن الشيخ حماه الله لا يكتفئ بالإدارة الفرنسية، ولا يأبه لها، ولا يحضر للإدارة إلا إذا أصروا عليه بالحضور كما أنه لا يشاركهم احتفالاتهم وأعيادهم ولا يقوم بتهنئتهم ولا يجلس مهما طال الوقوف، من باب عدم مجالسة غير المسلمين، ورغم هذا يدفع الضرائب بانتظام. أمام هذا التعنت شكلت الإدارة الاستعمارية وفدا من وجهاء البلاد يعرضون على الشيخ حماه الله مبلغا هائلا من المال لكنه رده ورفض استلامه، وأجابهم متهمًا: " لم أسلم منهم من دون أموالهم، فكيف لو أخذت مالهم".<sup>4</sup> وبقي متحفظا وهذا ما أكسبه ثقة الأهالي إضافة إلى شخصيته القوية وأصله الشريف. وللحد من تأثيره

1 Alioune, op. cit, p. 24.

2 شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 243.

3 إخلينا، المرجع السابق، ص 6.

4 المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص 78.

طلبت الإدارة الفرنسية من الأهالي عدم الاستماع للشيخ حماه الله الذي يحاول إرباك العقل المسلم.<sup>1</sup> على حسب تعبيرهم.

عاش الشيخ حماه الله في بيئة ساير معظم شيوخها وأعيانها الاستعمار وتعاملوا معه، مما جعل حماه الله يظهر، مختلفا عنهم وبرز في أعين الشعب بصورة البطل ولهذا كان مقربا من العامة. فتيقنت فرنسا بأن تطلعات الرجل وأفكاره لا يمكن أن تتعايش مع الاستعمار، فموقفه الثابت بضرورة مقاطعة الاستعمار وأنفته وشكيمته أثارت غضب الإدارة الفرنسية. وكانت هذه المواقف هي التي ألبت على الشيخ حماه الله رجال الدين وأعيان المنطقة حيث رأوا أن طريقته ستسليمهم مكاسبهم وأتباعهم، مما جعلهم يحرضون عليه الإدارة الاستعمارية لاعتقاله.<sup>2</sup> فقام المرابطون المواليون لفرنسا والزعماء الأفارقة بالمبالغة في تصويره ظلما وهتاناً على أنه العدو اللدود لفرنسا وأنه يستعد للحرب المقدسة.<sup>3</sup>

### 3.3 الصراع مع الإدارة الاستعمارية

كان أول اعتقال لحماه الله سنة 1924 في المندزة وهي مقاطعة موريتانية بولاية الترارزة، وذلك بسبب الصراع الذي نشب بين أتباعه والعمريين، فقام حاكم باماكو تيراسون دي فوجير الذي يعتبر العقل المدبر لهذه الحادثة باستدعاء حماه الله ودار بينهما حوار طويل. أظهر الشيخ حماه الله قدرة وخبرة في التفاوض حيث أكد للحاكم أنه لم يحرض على هذه الاعمال لا شفها ولا كتابيا، وأنه يدفع ضرائبه بانتظام، وأن أولاده مازالوا صغارا حتى يدخلهم للمدرسة الفرنسية لكن الحاكم الفرنسي قرر نفيه 10 سنوات من أجل إبعاده عن منطقة نفوذه حيث صرح تيراسون في رسالته إلى الحاكم العام أن هذا المرابط زادت شعبيته ولم تعد تقتصر على موريتانيا فقد تعدت إلى السنغال وغينيا العليا ونيجيريا<sup>4</sup> وهو سبب المشاكل خلال تسع سنوات في المنطقة. وبالفعل تم نفي الشيخ إلى المندزة وهناك زادت شعبيته بل انضم أتباع الطرق الأخرى لطريقته على اعتباره مرشد روجي حقيقي غير مطيع للإدارة الاستعمارية.

ولما وقعت اشتباكات في مدينة كيدي الموريتانية 1930 بين الجمالين والعمريين تقرر أيضا تحميل حماه الله المسؤولية كاملة وتقرر نفيه هذه المرة إلى مدينة أدزوبي في كوت ديفوار وهي منطقة

1 Hamadou, op. cit, p.142.

2 أخلصنا، المرجع السابق، ص.7.

3Alioune, op. cit, p.26.

4Hamadou, op. cit, p.144.

وثنية بالكامل وشددوا عليه في الإقامة، ومنحوه حرية أقل لكن رغم ذلك دخل عدد من الوثنيين بدعوته إلى الإسلام، ومما ساعده في دعوته هو إتقانه كما أشرنا سابقا للعديد من اللغات. وكانت هذه المرحلة هي الأصعب في حياة الشيخ حماه الله خصوصا لما بلغه نبأ وفاة والدته وأخته.<sup>1</sup>

لما عاد الشيخ حماه الله من منفاه سنة 1936م شرع يقصر الصلاة وأمر اتباعه بتقصيرها ولما سئل استدل بقول الله تعالى: "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الظَّالِمِينَ كَانُوا لَكُمْ مَعَدَاً مُّبِينًا"<sup>2</sup> ولاقت هذه الخطوة معارضة كبيرة من طرف الفقهاء حيث لاموه في هذا الأمر، ورد عليه بعضهم بقصائد شعرية وتخلى البعض عن اتباعه في هذه المسألة تحديدا بينما خرج البعض عن الطريقة الحمالية جملة وتفصيلا. وحتى الإدارة الاستعمارية الفرنسية تدخلت في هذه المسألة واستدعت حماه الله للاستجواب حول تقصيره للصلاة لأنها أثارت مشكلة وكادت أن تخل بالنظام العام، وتبعها لهذا بعثوا له سعيد النور تال حفيد الحاج عمر لمناقشته، فلم يكن أمام الشيخ حماه الله من خيار سوى الامتثال.<sup>3</sup> وساد الهدوء من سنة 1936 إلى سنة 1940.

وفي صائفة 1940م وقعت حرب ومجزرة رهيبة عرفت في التاريخ باسم (حرب الأشقاء) أو (حرب أم أشكالك)، والسبب المباشر لهذه الحرب كان تعرض ابن حماه الله بابا صائر لسوء المعاملة في نيورو من قبيلة تينواجيو (Tenwadji)<sup>4</sup> العدو للحماليين، وصادفت هذه الأحداث ضعفا فرنسيا بعد الهزيمة المخزية أمام الألمان، ف وقعت مذبحه رهيبة يوم 28 أوت سنة 1940 وعرفت هذه القضية باسم نيورو أسابا حيث حاول الحماليون الانتقام لابن شيخهم ومرشدهم الروحي.<sup>5</sup> وراح ضحية هذه المجزرة بين الأشقاء مئة من قبيلة تينواجيو إضافة لأتلاف وتدمر العديد من الممتلكات وأمام هذا الوضع قامت السلطات باعتقال بابا صاير ابن حماه الله وعددا من الحماليين بتهمة الإخلال بالأمن العام والقتل.

1 Ibid, p.146.

2 سورة النساء، الآية 100.

3 Hamadou, op. cit, p.149.

<sup>4</sup> قبيلة تينواجيو: أو تنواجيب قبيلة من الشرفاء يتركزون في النعمة وبلة وأنبيورو، يصل نسبهم إلى يحيى بن إدريس، وقد وفدوا من المغرب وسكنوا في بلاد شنقيط ولهم فروع كثيرة. مارتى بول، المرجع السابق، ص 271.

5 Hamadou, op. cit, p.150.

ولما علم الشيخ حماه الله بالأمر بعث برسالة إلى مدير دائرة نيورويدين فيها بشدة ما حدث ويتبرأ من المسؤولية ، وكان الشيخ حماه الله قد أنب ابنه بابا من الوهلة الأولى ونهاه عن هذه الاحتكاكات لتيقنه أن المستفيد الأول من أعمال الشغب والصراعات هي السلطة الاستعمارية بالدرجة الأولى.<sup>1</sup> إلا أن الإدارة الاستعمارية حملت الشيخ المسؤولية كاملة، وكتبت تقريرا إلى الإدارة الاستعمارية عنوانه: " حماه الله المحرض السوداني" وهذا ما استوجب الحكم عليه بعشر سنوات مرة أخرى بقرار من المفوض السامي لغرب إفريقيا بالاتفاق مع الجنرال ويغان.<sup>2</sup>

وتقرر بالفعل حبس الشيخ في محافظة وهران. وفي 09 أبريل سنة 1942 انطلقت به سفينة إلى مرسيليا ومن هناك إلى فالس لي بان (Vals-les-Bains) في فرنسا. أما في نيوروفقد تم معاقبة الأتباع كل على حسب تأثيره في الأحداث وحكم على 31 من الحماليين بالإعدام وعلى رأسهم إثنين من أبناء الشيخ حماه الله حيث نفذ الإعدام يوم 11 نوفمبر 1941 في يليماني بمالي. والملفت في الأمر أن التقارير الاستعمارية ستقوم بتبرئة الشيخ حماه الله من التهم المنسوبة إليه لكن بعد وفاته.<sup>3</sup> حيث تذكر المصادر الفرنسية أنه توفي يوم 16 يناير 1943 الموافق ل 09 محرم 1362هـ.<sup>4</sup> ودفن في مدينة مونليصون (Montluçon) بفرنسا. وتذكر بعض المصادر أنه مات متأثرا بالإضراب عن الطعام من سوء معاملته وتحت وطأة التعذيب من السلطات الفرنسية.<sup>5</sup>

### 4.3 تجدد المقاومة:

بعد نفي الشيخ حماه الله مارست السلطات الاستعمارية تسلطها على اتباع الطريقة الحموية بفرض عقوبات، وهذا ما أدى إلى تجدد المقاومة لكن بطريقة أخرى. فقد استلم المشعل أحد اتباع

1 أخلصنا، المرجع السابق، ص7.

2 Hamadou, op. cit, p.151.

3 Hamadou, op. cit, p152.

4 الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص515.

5 عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، مصر، 2000، ص243.

الشيخ حماه الله وهو يعقوب سيلا الإفواري الذي قاد عمليات عسكرية مسلحة ضد القوات الفرنسية خصوصا في كوت ديفور وموريتانيا.<sup>2</sup> وقد أسس طريقة جديدة عرفت باسمه وتسمى اليعقوبية، هذه الأخيرة كانت أكثر تشددا من الحموية نفسها حيث تميزت بعدة خصائص منها: رقصة الجنة التي تشبه استحضار الأرواح وتبدأ هذه الجلسة بتريد لا إله الا الله، ولعل من أخطر معتقدات اليعقوبية فكرتين الأولى: هي أن الناس سواسية حيث أمر يعقوب تجسيدا لها الأولاد بعدم طاعة الآباء والزوجات بعدم طاعة الأزواج، أما المعتقد الثاني: فتمثل في الادعاء بأن باب التوبة قد أغلق وعلى الانسان أن يعترف بجرمه علنا خصوصا إن كان زنا.<sup>3</sup> أما في فولتا العليا فقد تولى قيادة الحمالية ثلاثة أشخاص هم: موسى أمينو، عبدالله دكوري وأبو بكر سافادوغو.<sup>4</sup>

عادت للطريقة الحموية قوتها ونشاطها ونفوذها بعد أكثر من عقدين من وفاة شيخها حماه الله وذلك على يد ابنه الشيخ محمد ولد حماه الله<sup>5</sup> الذي أعاد إحياء مدينة نيورو كمركز للطريقة الحموية، وتعددت زوجات الشيخ محمد مما أدخل الكثير من العائلات بل قبائل بأجمعها في طريقته، وبدبلوماسيته أصبحت الطريقة الحموية ذات حضور سياسي فاعل في مالي لحد الآن، وبنسبة أقل في موريتانيا.<sup>6</sup>

خاتمة:

---

1 يعقوب سيلا: أحد أتباع الشيخ حماه الله، ولد بكوت ديفوار، أتخذ مدينة كايدي عاصمة لطريقته الجديدة التي انفصلت عن الطريقة الحموية ودخلت معها في صراع كبير. محمد الطاهر ميغري، المرجع السابق، ص 76.

2 أخلصنا، المرجع السابق، ص 10.

3 محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 76.

4 Felice Dassetto et Pierre-Joseph, "Ramatoullay: une confrérie musulmane en transition", revue de recherches sociologiques et anthropologiques, 2, Université Catholique, Belgique, 2006, p. 54.

5 محمد ولد حماه الله: ولد سنة 1938 أي قبل ثلاث سنوات من نفي والده، درس في نيورو، وتولى أمر الطريقة في منتصف السبعينيات من القرن الماضي.

6 أخلصنا، المرجع السابق، ص 10.

حاولت فرنسا القضاء على هوية مستعمراتها من أجل إلحاقها بالثقافة الفرنسية، وهذا ما جعل هذه الشعوب تقاوم هذه السياسة بشتى الأساليب، ومن أبرز المقاومات التي وقفت في وجه فرنسا في غرب إفريقيا، مقاومة الشيخ حماه الله والطريقة الحمالية التي عارضت السياسة الاستعمارية جملة وتفصيلا حيث حاول الشيخ حماه الله الحفاظ على الهوية الثقافية العربية الإسلامية، من خلال توحيد شعوب غرب إفريقيا تحت راية الطريقة الحمالية التي تعد فرعا منفصلا عن التجانية.

وخلصت الدراسة في الأخير إلى أن الصراع بين الطرق الصوفية ومحاولة كسب رضا المستعمر والصراع القبلي كانا السبب الأول في اضطهاد الشيخ حماه الله ونفيه، كما أن الإدارة الاستعمارية عملت على تطبيق سياسة فرق تسد من أجل الهيمنة على الشعوب، فعملت على محاربة الطرق الصوفية المعارضة لها حيث أن أدوار الطرق فاقت أدوار الأحزاب السياسية المعاصرة لأنها لم تتوقف يوما أمام الحدود السياسية. وللأسف لم يلق الشيخ حماه الله القدر الكافي من الدراسة والاهتمام اللائق به كمقاوم سياسي، ترك بصماته في غرب إفريقيا برفضه الإدعان لفرنسا.

قائمة المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.

- إخلينا ولد محمد الأمين، الطريقة الحموية في الساحل الإفريقي جزء من الحالة الصوفية بموريتانيا وبمالي، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 25 فبراير 2019.

- بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب، محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001.

- برايم بارى عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دارالأمين، مصر، 2000.

- ميغري محمد الطاهر، إبراهيم أنياس السنغالي، دار العربية، لبنان، 1981.

- المختار ولد محمد، الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة ماجستو في التاريخ المعاصر، منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

- النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

- عباد أحمد، " موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، م 10، ع 01، مارس 2019.

- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية، مكتبة مدبولي، مصر، 1989.

- شيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 (الجزائر)، 2016-2017.

المراجع الأجنبية:

- Boly Hamadou, **Le soufisme au Mali du XIXème siècle à nos jours** : religion, politique et société. Histoire. Université de Strasbourg, 2013, Français, 2013.

- Dassetto Felice et Pierre-Joseph, **“Ramatoullay: une confrérie musulmane en transition”**, revue de recherches sociologiques et anthropologiques, 2, Université Catholique, Belgique, 2006.

- Traoré Alioune, **Cheikh Hamahoullah home de foi et résistant**, l'Harmattan, France, 2019.

الملاحق:

الملحق 02: صورة للشيخ حماه الله

الملحق 01: ملاحظة من الكابتن كاردير تشير إلى

مسؤولية حماه الله عن أحداث نيورو سابا 1940.



**NOTE**

Il est certain aujourd'hui que la responsabilité de Chérif Hama Allah, était moins engagée dans les incidents de Nioro-Assaba qu'on l'a cru à l'époque. Le Chérif a été en cette matière, comme précédemment au cours des incidents de Kadi, largement dépossédé par des fractions qui ont vu l'occasion de satisfaire de vieilles haines ou de vieux appétits.

D'autre part poser le problème sur le plan de "sans du Gouvernement de Vichy" est une erreur totale. Il ne reste plus qu'à reconnaître Hama Allah comme premier résistant de l'Afrique et à demander une médaille de la Résistance à titre posthume.

Le Gouvernement, et il ne s'agit pas de savoir s'il s'agit de celui de Vichy ou de celui de Londres, avait à faire face à des troubles sérieux mettant en péril l'ordre public. Les fils du Chérif ont été pris les armes à la main et ont été fusillés. Même si à l'époque ils ne faisaient que répondre à des exigences cela ne constitue pas une excuse, étant admis que les citoyens ne peuvent se faire justice eux-mêmes.

Enfin les Abel Chérif Hama Allah ne passent pas pour particulièrement misérables dans le Sahel. Leurs fractions nomades nomadisent sous l'aile du Sérèbe Séhariste du Hodh. Cette "protection", imposée autrefois, est devenue aujourd'hui une habitude et les migrations s'opèrent de concert. J'ai eu un entretien avec Chérif Ahmed, fils de Hama Allah, le 24 Janvier 1953, à Nioro; à aucun moment malgré l'ambiguïté qui a présidé à la conversation il n'a été question de "haine" entre ses frères.

Toutefois si le Gouvernement local envisageait de donner un secours à ces enfants, la mesure pourrait être considérée favorablement par les idées du Cheikh; mais en aucun cas il ne faudrait donner à ce geste une valeur de réparation. Le marxisme peut nous aider contre le modernisme musulman récemment apparu en pays noir; faire un geste en sa faveur sous la pression d'un parti politique c'est donner à ce parti tout le bénéfice du geste. La demande de secours doit, à notre avis, émaner du Commandant de Cercle de Nioro, avec avis du Commandant de Subdivision de Nioro, pour que nous retirions nous mêmes les avantages de cette mesure de secours.

L. Capitan Candaris

المصدر.: Hamadou, op. cit, p386.

<http://hamawiyahitjanayah.blogspot.com,19/02/2022>.